الفصل الثالث

الإحصاء ودراسة الأسلوب

٣-١ .

البعد الاحصائى فى دراسة الأسلوب هو من المعايير الموضوعية الأساسية التى يمكن باستخدامها تشخيص الأساليب ، وتمييز الفروق بينها . ويكاد ينفرد من بين المعايير الموضوعية بقابليته لأن يستخدم فى قياس الخصائص الأسلوبية كائنا ما كان التعريف الذى يتبناه الباحث للأسلوب ، أو الطراز النحوى الذى يستخدمه .

وترجع أهمية الاحصاء هنا إلى قدرته على التمييز بين السمات أو الخصائص اللغوية التى يمكن اعتبارها خواص أسلوبية ، وبين السمات التى ترد فى النص ورودا عشوائيا ، أو - كما يقول ج . ن . ليتش G. N. Leech - إلى أهمية التمييز بين ما يتضمنه النص من انحراف متفرد دال unique significant deviation فى استعمال اللغة وبين الشطط الذى لامتعة فيه unmotivated aberration [1] . وبيان ذلك أنه ليس كل انحراف جديرا بأن يعد خاصة أسلوبية هامة ، بل لا بد لذلك من انتظام الانحراف فى علاقاته بالسياق . كما أن الحاح المنشىء على انماط معينة من انحرافات

---

(1) G. N. Leech, "Linguistics and the Figures of Rhetoric" , in **Essays on style and Language**, edited by R. Fowler, P. 141 .

الاستعمال وايثارها على غيرها من البدائل وما قد تسفر عنه المقارنة بين النص المدروس والنص - النمط من اختلاف فى نوعية البدائل المستخدمة وكثافتها ، كل أولئك يعد من المقومات الأساسية لتمييز الأساليب ، ولا بد للكشف عن ذلك كله من اجراء القياسات الكمية الدالة .

ولقد مر استخدام الاحصاء فى دراسة اللغة بمرحلتين ، ساد فى أولاهما اتجاه يهدف إلى قياس الخصائص العامة (أو المشتركة) فى الاستعمال The Universals . أما فى المرحلة الثانية فقد ساد اتجاه مقابل هدفه التوصل إلى الخصائص الفارقة (أو الميزة) بين الأساليب The Differentials . ومن الطبيعى أن يولى دارسو الأسلوب الاتجاه الثانى أكبر اهتمامهم على حين تولى بعض المشتغلين بعلم اللغة العام تطوير الدراسات فى الاتجاه الأول .

والحق أن الاتجاهين يتكاملان فى دراسة الأسلوب لايستغنى بأحدهما عن الآخر، ذلك أن تعرف دارس الأسلوب إلى الخصائص العامة يمكنه من القيام بتنحيتها ، والتركيز على الفروق المميزة [٢] .

ولقد اجتذبت طرافة الجانب الاحصائى فى دراسة الأسلوب عددا من المتخصصين فى مجال الاحصاء الخالص . وتضافرت الدراسات فى محاولة لتطوير نظرية فى علم الاحصاء الأسلوبى . ويمكن ايجاز أسس النظرية الاحصائية للأسلوب فى قضية بسيطة فحواها أن الأسلوب هو مفهوم احتمالى a probabilstic concept ويتميز المفهوم الاحتمالى بسمتين أساسيتين أولاهما أنه فى عالم الاحتمال لايكون وقوع الظاهرة (أ) محكوما تماما بوجود الشرط (س) ، ففى وجود الشرط (س) ستقع الظاهرة (أ) باحتمال معين ، والظاهرة (ب) باحتمال معين ، والظاهرة (جـ) باحتمال

(2) Enkvist, op . cit., p. 129.

معين وهكذا ... وحتى عندما يكون احتمال وقوع الظاهرة (أ) كبيرا أى عندما تقترب قيمة الاحتمال الأول من الواحد الصحيح فإن وقوع الظواهر الأخرى (ب) و (جـ) ... إلخ . لايمكن استبعاده . ويمكن حساب توقع حدوث كل ظاهرة من الظواهر (أ) و (ب) و (جـ) فى وجود الشرط (س) بواسطة التوزيع الاحتمالى Probability Distribution . وثانية الستين للمفهوم الاحتمالى أن التوزيع الاحتمالى يصف لنا توقع حدوث الظواهر (أ) و (ب) و (جـ) فى طاقم كامل من الأحداث وهو ما يسمى فى علم الاحصاء بالمجتمع Population ، أو باستخدام مجموعات غير مثالية أو محدودة نوعا وهو ما نسميه بالعينات Samples . ومثال الأول أن يحسب التوزيع الاحتمالى لخصائص أسلوبية معينة فى «مسرحية» أو «رواية» أو نتاج كامل لمؤلف ما . ومثال الثانى أن تستخدم عينات عشوائية أو مشروطة من هذه الأعمال» [٣] .

وقد وجدت النظرية الاحصائية الأسلوبية فى مصطلحات ومفاهيم النحو التحويلى ضالتها حتى ان ل . دوليجيل L. Dolezel يرى فيها «خلفية ضرورية لأى نظرية أسلوبية» [٤] . ويرتبط ذلك بما سبق أن أشرنا إليه من أهمية تحديد الطراز النحوى الذى يتخذ أساسا للدراسة الأسلوبية ، وضرورة توافر شروط معينة فى هذا الطراز تعين الباحث على الوصف العلمى الدقيق لظواهر الأسلوب [٥] .

---

(٣) نقلنا ذلك بتصرف عن مقال قيم كتبه عالم الاحصاء الأسلوبى لوبومواز دوجيل Lubomoir Doleel بعنوان "A Famework for the Stausucal Analysis of Style" وقد نشر فى مجموعة مقالات بعنوان Statisucs and Style edited by L. Dolezl and R. W. Baily, New York, 1969, pp. 10-25 وبتوفيق من الله أنجزنا ترجمة كاملة للمقال نزمع نشرها مع مجموعة مقالات أخرى عن «طرق البحث فى علم الأسلوب» .

(4) Ibid, p. 12 .

(٥) انظر الفقرة ٢ - ٨ من هذا الكتاب .

٣-٢ .

ومن الأسئلة المطروحة فى مجال الأسلوب ودراسته سؤال عن مدى ارتباط المصطلح «أسلوب» بالمصطلح «أدب» . أو بعبارة أخرى : هل الأسلوب صفة مميزة للغة الأدب فحسب أو للغة الأدب والعلم إذا شئنا شيئا من التوسع ؟ أم أن جميع أنواع الاستعمال اللغوى على اختلافها قابلة لأن تصنف باعتبارها أساليب ؟ .

هنا تبرز إحدى ثمرات الارتباط بين دراسة الأسلوب وعلم اللغة حيث يتخذ منظور الأسلوب آفاقا أكثر رحابة توسع من محدودية النظرة القديمة . إن كثيرا من الدراسات الأسلوبية - وإن كانت تولى عناية كبرى للغة الأدب - ترى أن الأسلوبية صفة يمكن اسباغها على أى نص من نصوص اللغة . وإذا نظرنا إلى السمات اللغوية فى لغة ما على أنها مجموعة من الثوابت Constants والمتغيرات Variables كانت السمات الثوابت هى القواعد العامة التى تشكل النظام الأساسى للغة مثل تركيب الجملة الأسمية والجملة الفعلية ، والمضاف والمضاف إليه والصفة والموصوف . أما المتغيرات فتمثل السمات التى يمكن للمنشىء أن يتعامل معها بقسط أوفر من الحرية، ومن أبرزها المفردات . وهذا النوع الأخير هو الأكثر بالنسبة لدارس الأسلوب ، إذ هو الرصيد الأساسى الذى تتشكل منه مختلف أنواع الأساليب .

وبهذا المفهوم توجد وجوه شبه قوية بين الأساليب واللهجات ، ولا سيما اللهجات الاجتماعية Social Dialects . وإذا كان الأسلوب نموذجا من الاستعمال اللغوى يتكون من مجموعة سمات لغوية يتكرر ورودها مرتبطة بسياق معين ، ويتم تجميعها من بين قائمة طويلة من السمات اللغوية المتاحة فى لغة ما = وكانت عملية التجميع هذه تتم بوسائل مختلفة : كأن يستبعد عنصر ما على وجه الاختيار أو على وجه الالزام أحيانا أخرى = نقول إذا صح ذلك فإن الأسلوب يتفق مع اللهجات فى هذه

الخواص حتى ليمكن القول بأن الأساليب إنما هى أنواع خاصة من اللهجات الاجتماعية. وينشأ عن ذلك أن مفهوم علم الأسلوب يمكن أن يكون أشمل من أن يقتصر على دراسة لغة الأدب. وأن لكل لغة سلما بيانيا من الأساليب المتنوعة يحتل فيه كل أسلوب درجة من درجات هذا السلم البيانى .

وينبغى أن يكون واضحا أننا إزاء هذا النوع من الأساليب الجماعية لا نهتم بالفروق الفردية بين الأساليب ، وإنما نهتم بما يميز الأسلوب الأدبى من الأسلوب العلمى أو من الأسلوب الرسمى والأسلوب المستخدم فى العبادات والشعائر الدينية ، وذلك بنفس الطريقة التى نميز بها اللهجات المهنية ولهجات المثقفين ولهجات اللصوص والخارجين على القانون . وكما أن اللهجات الاجتماعية تتأثر بانتماءات الفرد إلى الجنس والطبقة والدين والحزب السياسى وغيرها فكذلك أسلوبه أيضا . ومعلوم أن هذه الانتماءات يصنفها المشتغلون بعلم اللسانيات الاجتماعية Sociolinguistics إلى صنفين رئيسين : أولهما الانتماء المتجانس أو المتوحد Group Affiliation وثانيهما الانتماء المتعارض أو المتعدد Cross Affiliation . ويحدث التعارض فى الانتماءات فى حالات كثيرة كأن ينتمى شخص ما من حيث الطبقة إلى الرأسماليين ومن حيث الحزب السياسى إلى حزب عمالى أو اشتراكى ، وكذلك حين تتعدد انتماءات الفرد إلى الأسرة والأقليم والنادى والعمل والحزب السياسى وغير ذلك .

ولهذه الأسباب كلها تنتشر الفروق اللغوية فى اللهجات الاجتماعية انتشارا غير مطرد أو منتظم يصعب معه تحديد اللهجة تحديدا قاطعا تمتاز به فى جميع خصائصها من غيرها من اللهجات وذلك بسبب تعارض ظواهر اللهجات وتداخلها . وقل مثل ذلك فى صعوبة تحديد الأسلوب باعتباره لهجة من اللهجات الاجتماعية .

وقد نجحت الجغرافية اللسانية Linguistic Geography - وهو العلم الذى يدرس اختلاف اللهجات فى المكان - نجاحا ملحوظا فى رسم الحدود بين اللهجات Dialect Boundaries ، وذلك بابتكار فكرة خط التوزيع Isograph أو Isogloss وهو «الخط الذى يفصل بين منطقتين متباينتين فى نطق ما»[٦] . وشجع هذا النجاح على استخدام فكرة خطوط التوزيع فى تمييز الحدود اللهجية بين اللهجات الاجتماعية فى منطقة واحدة ، وكذلك فى تحديد الأساليب . مع فارق واضح بين استخدامها فى تحديد اللهجات المحلية حيث يختلف المكان وبين استخدامها فى تحديد اللهجات الاجتماعية والاساليب . ففى الحالة الأخيرة يكون المعتمد على الإحصاء وسيلة أساسية لتمييز التوزيع الكمى للظواهر واختلافه باختلاف اللهجات الاجتماعية والأساليب .

وتتنوع خطوط التوزيع إلى خطوط التوزيع المعجمى Isolexics وخطوط التوزيع الصوتى Isophonics وخطوط التوزيع الصرفى Isomorphics وخطوط التوزيع النغمى Isotonics وخطوط التوزيع النحوى Isogrammatics . وبعد رصد العلاقات المختلفة بين الاستعمالات اللغوية على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والنحوية يتم رسم خطوط التوزيع الخاصة بكل مستوى . «وعلى أساسا من نقط التجمع أو الجذب التوزيعى Boundles or Fasicicles of Isoglosses ، وهى النقط التى تتجمع عندها - ولو على وجه التقريب - أكبر مجموعة ممكنة من خطوط التوزيع يمكن أن نحدد مناطق اللهجات فى أطالس اللهجات»[٧] ، وكذلك حدود اللهجات الاجتماعية والأساليب . وقد أوضح وينتر

---

(٦) وضع هذا المصطلح قياسا على الخطوط التى تصل بين المحطات المتماثلة فى درجات النهاية العظمى للحرارة فى الخرائط الجوية وتسمى Isotherms . وانظر مقالنا «عن مناهج العمل فى الاطالس اللغوية» فى حولية كلية دار العلوم ١٩٧٤/١٩٧٥ ، ص ١٢٢ .

(٧) انظر مقالنا الذى سبقت الاشارة إليه «عن مناهج العمل فى الاطالس اللغوية» ص : ١٢٣، ١٢٤.

Winter فى بعض مقالاته كيفية استخدام الاحصاء أساسا لرسم خطوط التوزيع الأسلوبى [٨] . وحسبنا الاشارة إلى أهمية هذا المبحث الأسلوبى لأننا معنيون بالأسلوب باعتباره صفة لمنشىء معين فى عمل معين .

٣-٤ .

ويقودنا هذا إلى العلاقة بين ما هو أسلوبى وما هو احصائى عند دراسة أساليب المنشئين أو أساليب الأعمال الأدبية وجدير بالذكر هنا أن الاحصاء فى هذا المجال ليس إلا معيارا يستخدم للقياس . وليس من مهمة الاحصاء أن يحدد السمات الجديرة بأن تحصى . وهو لايعطى الباحث أكثر من قيمة عددية بقطع النظر عما يقابل هذه القيمة من وحدات لغوية . من ثم فإن على دراس الأسلوب أن يحدد الخصائص والسمات التى يراها جديرة بالقياس الكمى ليحصل على مؤشرات عددية تفيده فى التوصل إلى نتائج موضوعية دقيقة فى المسألة موضوع البحث .

وتستعين الدراسة الأسلوبية بالاحصاء فى المجالات الآتية :

أولا : المساعدة فى اختيار العينات اختيارا دقيقا بحيث تكون ممثلة للمجتمع Population المراد دراسته [٩] .

ثانيا : قياس كثافة الخصائص الأسلوبية The Density عند منشىء معين أو فى عمل معين . فإذا أردنا على سبيل المثال قياس كثافة الجمل الاسمية (أو الفعلية فى نص معين قمنا بحساب عدد مرات تكرار الجمل الاسمية (أو الفعلية) فى النص ثم نقسمها على طول النص (مقدرا بعدد الكلمات أو

(8) Werner Winter , "Styles and Dialects" in Statitics and Stylistics, 1969, p.3.

(٩) للتميز بين معنى «عينة» و«مجتمع» فى الاحصاء انظر الفقرة ٣ - ١ من هذا الكتاب .

المقاطع أو الجمل حسبما يرى الباحث) ، وبذلك يمكننا تحديد كثافة الجمل الاسمية (أو أى خاصة أسلوبية أخرى يخصها الباحث بالدراسة) .

ثالثا : قياس النسبة بين تكرار خاصة أسلوبية وتكرار خاصة أخرى للمقارنة بينهما Ratio . ويتم حساب النسبة باحصاء عدد مرات تكرار الخاصة الأولى وعدد مرات تكرار الخاصة الثانية فى نص من النصوص وقسمة حاصل جمع تكرار احداهما على حاصل جمع تكرار الأخرى [١٠] . ويمكن بهذه الطريقة حساب نسبة الجمل الأسمية إلى الجمل الفعلية ، أو نسبة الأفعال إلى الصفات ، أو نسبة الجمل الطويلة إلى القصيرة أو نسبة نوع ما من المجاز إلى نوع آخر حسبما يرى الباحث .

رابعا : قياس التوزيع الاحتمالى Probabilstic Distribution لخاصة أسلوبية معينة . وقد ألمحنا إلى المقصود بهذا المصطلح [١١] من قبل . ونحاول هنا أن نزيد الأمر ايضاحا فنقول : إن التوزيع الاحتمالى كما ذكرنا يصف الاحتمال (أو التوقع) الذى تتكرر به ظاهرة ما فى مجموعة من العينات . وإذا أردنا حساب احتمال وقوع الظاهرات أ ، ب ، جـ تحت شرط معين فى مجموعة عينات فنحن نتوقع أن هذا التوزيع لن يكون ثابتا ومستقرا جميعا . ولكنه سيظهر على هيئة توزيع تكرارى للعينة Sample Frequency Distribution ويتكون التوزيع الاحتمالى (أو التكرارى) فى العينة الواحدة على النحو التالى :

---

(١٠) سنرى ان شاء الله فى الجانب التطبيقى من هذا الكتاب كيف استخدم قياس النسبة بين الأفعال والصفات لتشخيص الأساليب . ونأمل أن نتمكن فى بحوث قادمة من تقديم أمثلة متنوعة تشمل كافة المجالات التى يمكن أن يستخدم فيها الاحصاء لقياس الأسلوب ونقده (انظر قائمة المراجع والمصادر الملحقة بهذا الكتاب ص ١٣٠) .

(١١) انظر الفقرة ٣ - ١ من هذا الكتاب .

١- احتمال وقوع الظاهرة (أ) تحت الشرط (س) P_x (A)

٢- احتمال وقوع الظاهر (ب) تحت الشرط (س) P_x (B)

٣- احتمال وقوع الظاهرة (جـ) تحت الشرط (س) P x (C) وهكذا ..

أما حين تتعدد العينات فيتكون بالطريقة الآتية :

١- احتمال وقوع الظاهرة (أ) تحت الشرط (س) فى العينة الأولى P^1_x (B)

٢- احتمال وقوع الظاهر (ب) تحت الشرط (س) فى العينة الأولى P^1_x (B)

٣- احتمال وقوع الظاهرة (جـ) تحت الشرط (س) فى العينة الأولى P^1_x (C)

٤- احتمال وقوع الظاهرة (أ) تحت الشرط (س) فى العينة الثانية P^2_x (A)

٥- احتمال وقوع الظاهرة (ب) تحت الشرط (س) فى العينة الثانية x^2_x (B)

٦- احتمال وقوع الظاهرة (جـ) تحت الشرط (س) فى العينة الثانية P^2_x (C)

وهكذا ... (حيث تمثل الدوال ن ... و 1,2 رقم العينة) .

ويعتبر المجاز التوزيع التكرارى للظواهر الأسلوبية خطة لابد منها لقياس النزعات المركزية فى النصوص Central Tendencies وهو ما سنتناوله فى البند (خامسا) .

خامسا : يخدم الاحصاء أيضا فى التعرف إلى النزعات المركزية فى النصوص كما ذكرنا . وبيان ذلك أن تميز نص أو منشىء باستخدام جمل طويلة مثلا لايعنى انعدام الجمل القصيرة فى ذلك النص أو عند ذلك المنشىء . بل كل ما يعنيه أن ثمة نزعة مركزية غالبة إلى استخدام الجمل الطويلة مع وجود امكان محتمل لورود الجمل القصيرة . وهكذا الأمر فى

(12) L. Dolezl, op . . cit, p. 10.

رصد الخواص الأسلوبية الأخرى . وقد وضع علماء الاحصاء مجموعة من المقاييس لقياس النزعة المركزية Measures of Central Tendency ويمكن الرجوع إلى تفصيل ذلك فى المصنفات الاحصائية . وأهم هذه المقاييس [١٣] :

١- **قياس الوسط الحسابى** Arithmatic mean وهو عبارة عن مجموع القيم مقسوما على عددها .

٢- **الوسيط** Median وهو القيمة التى تتوسط القيم بعد ترتيبها تصاعديا أو تنازليا إذا كان عدد القيم فرديا . أو هو الوسط الحسابى للقيمتين اللتين تحتلان وسط المجموعة إذا كان عدد القيم زوجيا .

٣- **المنوال** Mode وهو القيمة الأكثر شيوعا بين مجموعة من القيم ، أو - بعبارة أخرى القيمة التى تتكرر أكثر من غيرها فى التوزيع .

٤- **الوسط الهندسى** Geometrical mean ويتم حسابه بايجاد لوغاريتمات القيم . ثم جمع لوغاريتمات القيم وقسمتها على عدد القيم .

واختيار المقياس يعتمد إلى حد كبير على طبيعة المشاهدات ، ذلك أن لكل منها عيوبه ومميزاته ، ومن ثم فطبيعة المشكلة ونوعية المادة هما اللتان تحددان أنسب المقاييس الممكن استخدامها . وربما كان من الأفضل استشارة متخصص فى الاحصاء حتى لايؤدى انفراد الباحث بالتخطيط الاحصائى والتنفيذ إلى قياسات متحيزة أو ضئيلة الجدوى .

---

(١٣) من مصنفات الاحصاء التى يمكن الرجوع إليها : د. السيد خيرى : الاحصاء فى العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية وكتاب موراى شبيجل السابق ذكره .

وحين تتفق النصوص فى نزعة مركزية ما فإن من المحتمل إمكان التمييز بينها باستخدام مقاييس التشتت Dispersion [١٤] حيث يتوقع أن تختلف كميات تشتت التوزيع حول القيمة المركزية . ومن أهم مقاييس التشتت : المدى [١٥] Range ومتوسط الانحراف Mean deviation ، والانحرافات العشرية والربيعية والمئينية .

٣-٥ .

تفيدنا هذه الاستخدامات المتنوعة لعلم الاحصاء فى دراسة الأسلوب فى معالجة عدد كبير من قضاياه . إنها - بالاضافة إلى المعايير الموضوعية الأخرى - تسهم فى تميز الأساليب وتشخيصها على فرض تعاصر هذه الأساليب وهى ما يسمى بالدراسة السنكرونية Synchronic Study ، كما أن استخدامها فى تمييز التطور التاريخى للأساليب ليس بأقل جدوى (ويسمى هذا النوع من الدراسة بالدراسة الدياكرونية Diachronic Study) . وينعكس التمييز بين هذين النوعين من الدرس فى منهجين يختص أولهما بالأسلوبيات السكونية Static Stylistics والثانى بالاسلوبيات الحركية Dynamic Stylistics .

وهذا المنهج الأخير جدير بأن يحتل فى تاريخ الأدب مكانة خاصة . ونحن نرى فيه بديلا موضوعيا لما جرى عليه العرف السائد فى التأريخ للأدب العربى ، إذ يتم

---

(١٤) تسمى الدرجة التى تتجه بها البيانات الرقمية للانتشار حول قيمة وسطى تشتت أو تغير البيانات . (الاحصاء : م . شبيجل ، ص ١١٢) .

(١٥) ونعنى به الفرق بين أكبر رقم وأقل رقم بالنسبة لمجموعة ما من الأرقام . (وانظر م. شبيجل ، الفصل الرابع) . وقد استخدم وليامز (B. Williams) مقاييس التشتت والنزعة المركزية معا فى قياس طول الجملة عند هـ . ج . ويلز وبرناردشو وتشسترتون G. K. Chesterton فى بحث له بعنوان : "A Note on the Statisucal Analysis of Sentence-Length as a Criteri- on of Literary Style" printed in **Statistics and Stylistics** pp 69 - 75 .

تقسيم مراحله إلى فترات زمنية تتحدد بقيام الدول أو سقوطها (وأحيانا ينقسم باعتبار المكان) ، وبذلك أصبحت تعبيرات مثل الأدب الجاهلى أو الأموى أو العباسى أو الفاطمى أو الأندلسى والمهجرى - من المسلمات التى لاتكاد تقبل جدلا أو مناقشة. والذى لاشك فيه أن مثل هذه التقسيمات إنما تقوم على أساس مبدأ محكمى لا صلة له بتطور الأساليب أو الأجناس الأدبية فى ذاتها . وقد تعرض هذا التيار للنقد حتى فى أوائل تطبيقه ، وكان الرافعى رحمه الله يرى فيه «تقسيطا» للأدب على عصور التاريخ ، ومن ثم جاء كتابه (تاريخ آداب العرب) مخالفا فى تصنيفه وتبويبه لسائر ما كتب فى تاريخ الأدب العربى من مصنفات .

وفى مجال الدراسة الديناميكية للأسلوب اتجاه واضح إلى الطريق الذى أحجم عن ارتياده مؤرخو الأدب العربى طويلا بالرغم من عظم جدواه على دراسة الأدب نظرا وتطبيقا .

٣-٦ .

وتمتد الافادة من الاحصاء إلى منطقة تتصل اتصالا وثيقا بنقد الأدب ، وتغطى دائرة واسعة من المسائل النقدية مثل لغة الأدب ، ونقد الأسلوب بتمييز خصائصه كالتنوع أو الرتابة ، والسهولة أو الصعوبة ، والطرافة أو الاملال ، ذلك لأن هذه الأحكام الذاتية التى يصدرها القراء وطائفة من النقاد الذين يحتكمون إلى أذواقهم المدربة ترتبط بوجود منبهات هى فى معظم الأحيان سمات لغوية معينة ترد فى النصوص بتكرار معين ونسب وكثافات وتنويعات معينة .

وحين يتمكن الباحث من الربط بين مؤشر احصائى ما وبعض هذه الأحكام الذاتية فإن أهمية هذا الكشف تتجاوز مجرد تشخيص الأسلوب إلى مجالات كثيرة ذات أهمية فى نقد الأدب .

٣-٧ .

ونضيف إلى ما سبق ميدانا هاما حقق فيه القياس الكمى نتائج طيبة ، ونعنى به ميدان ترجيح نسبة النصوص مجهولة المؤلف أو المشكوك فى نسبتها إلى مؤلفين بأعيانهم The Problem of authorship . وتشتد الحاجة إلى الاستعانة بالمنهج الاحصائى عندما تنعدم الشواهد التاريخية أو الوثائقية النصية التى يمكن الاعتماد عليها لترجيح قول على قول . حينئذ يكون القياس الكمى لسمات معينة فى نصوص مقطوع بنسبتها إلى مؤلفيها ، ومقارنة نتائج القياس بما يتمخض عنه قياس السمات نفسها فى النص مجهول المؤلف أو المشكوك فى نسبته إلى مؤلفه - أساسا طيبا لحل مثل هذه المشكلات [١٦] .

وإذا استحضرنا أن جانبا ليس بالهين من تراثنا القديم - وبعض الحديث أيضا - لايزال موضع جدال فى نسبته إلى مؤلفيه عرفنا مقدار الاهتمام الذى يجب أن يوليه باحثونا لفكرة القياس الكمى للأسلوب وتطبيقها فى هذا الميدان .

٣-٨ .

ولا تنحصر أهمية القياس الكمى للأسلوب فى مجالات الدراسة الأدبية عامة ، ونقد الأدب خاصة بل تتجاوزها إلى دائرة واسعة من العلوم الإنسانية التى تهتم بعملية الاتصال اللغوى . وتأتى اللسانيات النفسانية Psycholinguistics فى مقدمة هذه

---

(١٦) من أدق هذه المقاييس مايعرف بخاصية يول Yule's Characteristic . وقد استخدمناه فى دراسة الثابت المنسوب من شعر شوقى : انظر وتحقيق نسبة النص إلى المؤلف . دراسة أسلوبية إحصائية فى الثابت والمنسوب من شعر شوقى . فصول ، مج ٣ ، ع ١ ، ١٩٨٢ ، ص ص ١٢٢ - ١٤٠ .

العلوم ، حيث تستخدم هذه القياسات كمؤشرات هامة فى التعرف إلى القدرات ودراسة كثير من الجوانب المتصلة بالشخصية Personality ، والأسس النفسية للابداع القولي. ويعتبر تحليل المضمون Content analysis من الوسائل الهامة المعتمدة فى اللسانيات النفسانية . بل إنه يحتل مكانة خاصة فى دراسة الرسالة الاعلامية بكافة أشكالها ووسائلها سواء فى الإذاعة أو التليفزيون أو الصحافة ، وسواء فى مجال المقالة أو الخبر أو الإعلان .

ومما يجدر ذكره أن أكثر المقاييس التى ألمحنا إليها صالحة بشىء من التكييف للتطبيق فى هذه المجالات على ما سيأتى بيانه ان شاء الله فى هذا الكتاب وما سيلحقه .

ونرجو أن نتمكن من تناول قضايا الأسلوب واضاءتها من هذه الزاوية ، وأن يكون فى هذا التناول ما يستيقظ أنظار الدارسين إلى أهميتها ، ويحفزهم إلى سلوك هذا الطريق ، والصبر على وعورته خدمة للغتنا وتراثنا .